

ولكن الذى يعيننا من هذا كله أنه بلغ من إحساسه بهذا التناقض بين آماله وواقعه أن تحول هذا الإحساس إلى نوع من الصراع فى نفسه ، عبر عنه كثيرا فى مطالعه وشعره ، ثم تحول هذا الصراع إلى سخط عارم ، أحيانا على نفسه ، حتى يبلغ هذا السخط أن يتمنى الموت ، ولا يرى لنفسه شفاء إلا هو ، كقوله :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المانيا أن يكن أمانيا (٥٥)

وأحيانا يصب هذا السخط على الناس عامة ، كما رأينا فيما سبق من حديثه ، ومن الواضح أن هذا السخط تابع من إحساسه بالفشل فى تحقيق آماله التى بلغت من قوتها أن يتصور كأنها حق له ، كقوله :

لنا عند هذا الدهر حق يلطه وقد قل إعتاب وطال عتاب (٥٦)

فهو ساخط على الناس لأنهم يحولون بينه وبين هذا الحق ، وساخط على نفسه لأنها لم تنجح فى امتلاك هذا الحق .

وقد يقال فإن كل إنسان عادة يحمل آمالا يتمنى أو يريد تحقيقها ، وكثير أو قليل من الناس حملوا آمالا كبارا كما حمل المتنبى ، ولكننا لا نعلم أنهم حملوا نزعة التعالى الواضح المتعمد الذى ينم دائما عن التكلف ، ويبلغ فى بعض الأحيان حد المغالاة والشطط كما حمل المتنبى الذى كان جل متاعبه سواء فى الشام أو فى مصر تابعا من هذا التكلف وهذا الشطط ، والجواب أن النظرة بهذه الصورة مبتورة أو جزئية مشوهة ، فإن العوامل النفسية الاجتماعية لدى المتنبى تكاد تنحصر فى عاملين مترابطين ، أحدهما إحساسه بتفوقه ، والآخر إحساسه بضعف منشئه وكيانه الاجتماعى ، ولا نستطيع أن نفهم الأثر النفسى فى شعره إلا بالنظرة إليها معا ، فإن إحساسه بتفوقه وما ترتب على هذا من آمال فشل فى الوصول إليها تولد عنه السخط على نفسه وعلى الناس ، كما أن إحساسه بهوان منبته ، وضعف كيانه الاجتماعى مع ما لديه من قدرات فائقة ، تولد عنه الإحساس بالنقص ثم محاولة تعويض هذا القصر بتكلف التعالى ومطالبة أصحاب المنار العليا فى المجتمع .